سياسة "آل برقة" ما بين الحرب البونيقية الأولى والثانية (241 – 219 ق.م)

الباحثة: نور الهدى ورنوغي أ.د. محمد الهادي حارش

جامعة الجزائر 2، الجزائر

الملخص:

كان ثقل الاقتصادي للحرب البونيقية الأولى على الأليجارشية القرطاجية الحاكمة من "آل حنون" سبباً في وقف مسار الحرب بعد "إيغاتس"، رغم أن قواتهم الأساسية في جبل "أريكس" لم تصب بأذى، ما دفع "هاملكار" برقة إلى التنحي، لكن ثورة الجند المأجور (حرب المرتزقة) أعادته إلى الواجهة.

ففقدان جزيرة صقلية سنة 241 ق.م ثم جزيرتي "سيرديناي" و"كورسيكا" سنة 238 ق.م يكون القرطاجيون قد فقدوا نفوذهم في الحوض الغربي للمتوسط، فكان من الضروري عليها إعادة بناء اقتصادهم من جديد، فرأى "آل برقة" التوجه إلى إسبانيا لتعويض ما فقدوه في جزر المتوسط، وإعادة بناء القوة الاقتصادية والعسكرية لقرطاجة، وهذا بعيداً عن أنظار روما والأليغارشية القرطاجية التي تعمل على تجنب كل ما يثير مخاوف روما.

الكلمات المفتاحية: الحرب البونيقية. آل برقة. هاميلكار. حنبعل.

***Abstract**:*

The economic weight of the First Punic War on the Carthaginian Allegraic of Al Hanoun led to the cessation of the course of the war after the Agaths, although their main forces on Mount Ereks were not harmed, prompting Hamalkar to step down, The hack (mercenary war) brought him back to the fore.

The loss of the island of Sicily in 241 BC and then the islands of "Sardinia" and "Corsica" in 238 BC. Carthaginians have lost their influence in the western basin of the Mediterranean, it was necessary to rebuild their economy again, and saw "Al Barqa" to go to Spain To compensate for what they have lost in the Mediterranean islands, and to rebuild the economic and military power of Carthage, far from the eyes of Rome and the Carthaginian eligarchy, which avoids all the concerns of Rome.

keywords*: *Punic War, Al Barqa, Hamalkar, Hannibal.

الموضوع:

كان لما آلت اليه نتائج الحرب البونيقية الاولى (264 – 241 ق.م) أن حددت الخطوط العريضة لسياسة قرطاجة ما بعد الحرب، فإذا كان "آل حنون"والاليجارشية التجارية التي أنهكتها سنين الحرب الطويلة همها الوحيد والأساسي هو تجنب كل ما يثير شكوك منافسيهم الرومان، فإن "آل برقة" الذين لم يهضموا الهزيمة بدأوا بالتفكير في كيفية معالجة المشاكل التي كانت وراء نتائج الحرب الأولى.

كانت أول تلك النقائص هو هشاشة الاقتصاد القرطاجي الذي لم يتحمل تبعات الحرب الطويلة، ثم الاعتماد على جيش من المرتزقة يحارب بلا روح، ولعلاج هته النقائص رأى "آل برقة" التوجه الى إسبانيا التي تتوفر على الإمكانيات الاقتصادية المتنوعة والتي يمكنها أن تبعث بالاقتصاد القرطاجي إلى الأمام، بالإضافة إلى ما تحتويه المنطقة على الكثافة السكانية كبيرة،

والتي يمكنها أن تقدم تجنيداً هاماً لخدمة القوات القرطاجية، فضلاً عن بعدها عن أنظار روما و"آل حنون".

بعد معركة "إيغاتس" لم يخسر القرطاجيون صقلية فحسب بل تعداه إلى خسارة "كورسيكا" و"سردينيا"، لذلك كان مشروع "آل برقة" لتعويض عن ما خسروه هو التوجه إلى اقصى غرب المتوسط حيث إسبانيا، رغم معارضة الأرستقراطية بقيادة "حنون الكبير" ممثل مصالح الأرستقراطية وخصم "آل برقة" -المستندون إلى الشعب-، فكان طموح آل برقة بقيادة "هاميلكار" وابنه "حنبعل" من بعده يتجاوز كسب المزيد من التأثير في قرطاجة على حساب الأرستقراطية، بل تعداه إلى البحث عن مجد جديد لقرطاجة.

لمحاولة فهم الأسباب الحقيقية التي دفعت "آل برقة" لتوجه الى إسبانيا، يجب العودة إلى ظروف قرطاجة عقب نهاية الحرب البونيقية الأولى (264 – 241 ق.م)، وخاصة اذا ما علمنا أن الذهاب إلى إسبانيا مؤشر لقيام حرب جديدة ضد روما، والتي تجسدت في الحرب البونيقية الثانية (218 –201 ق.م) والتي سماها "بولوبيوس" حرب "حنبعل"[1] إشارة منه أن هذا الأخير هو المتسبب فيها[2].

يعود "بوليبيوس بجذور الحرب البونيقية الثانية إلى نهاية الحرب البونيقية الأولى، حيث يشير إلى عدم تقبل "هاملكار" هزيمة "إيغاتس" مادامت قواته في جبل "إريكس" لم تصب بأذى، ولكن الأرستقراطية القرطاجية هي التي إنهارت بعد هزيمة "إيغاتس" البحرية، وهذا ما جعله على موقفه يترصد الفرصة من أجل الإنتقام من روما، وخاصة بعد نجدة روما لمرتزقة "سيردينيا" وفرض إنسحاب قرطاجة من هذه الجزيرة، بالإضافة إلى إلحاق جزيرة "كورسيكا" وفرض غرامة مالية إضافية على قرطاجة[3]، مما حرك روح الاعتزاز الوطني لديه[4].

I ـ ظهور "هاميلكار" صاحب مشروع آل برقة التوسعي في إسبانيا:

لتتبع سياسة آل برقة يجب العودة إلى "هاميلكار" الجد الأول للعائلة وصاحب المشروع، كان أول ذكر له في المصادر من خلال الحرب في صقلية، حيث قررت الأرستقراطية من "آل حنون" إرسال "هاميلكار" برقة"[5] الى "صقلية" وهو يبلغ حوالي ثمانية وعشرين (28) سنة أي

سنة 236 ق.م،[6] حيث ساعد ظهوره على تحريك الاحداث لصالح قرطاجة في صقلية، واستطاع بوسائله أن يستولي على الجبل المعزول قرب "بالرم" جبل "هيركتي Héircté "[7] والذي كان معقله المنيع[8]، والرومان كانوا متموقعون في "بانرمو"Panarmus"، مما خول لـ"هاميلكار" مضايقتهم في العديد من المرات، وبعد ثلاثة (3) سنوات غادر "هيركي"[9] ونزل بجبل "إريكس eryx" بجوار "طرابني"[10] وقد حاول الاستيلاء عليها، ولكنه لم يستطع أن يستولي على المعبد الشهير "لأفروديت" الواقع في قمة الجبل[11]، وقد كان هناك مناورات لكنها لم تكن حاسمة بين الطرفين[12]، حيث أن الرومان لم يتمكنوا من الاستلاء على "ليليبايوم" ولا على "طرابني" مكان تمركز القرطاجيين، ولم يتمكن القرطاجيون من شن هجوم حاسم ومعاكس على الرومان،[13] غير أن هناك أحداث هي التي صنعت الفارق في هذا الصراع، وهو تأخر القائد "حنون" في مد "هاميلكار" بالدعم والمؤونة في صقلية، بعد أن تمكن القنصل الروماني "lutatius" من عرقلته في الوصول الى "إريكس" موقع تمركز "هاميلكار"[14]، ولكن رغم ذلك فإن الجيوش القرطاجية بقيادة "هاميلكار" كانت متمركزة بمعنويات مرتفعة في جبل "الإريكس"، قادرة على الصمود أكثر[15]، ولكن هذه الحرب الطويلة انتهت بطريقة مختلفة.

فصول القائد القرطاجي" هاميلكار" كان متأخراً حيث أن القوات التي كانت معه لم تكن كافية لاسترجاع صقلية، ولكن في نفس الوقت كان بإمكانها الصمود أكثر، فالإنجازات الأخيرة التي قام بها القائد البرقي لم تكن إلا مجداً شخصيا له.[16]

حيث طلبت الأرستقراطية القرطاجية بقيادة "آل حنون" بعدم مواصلة الحرب، وتلقى القائد "البرقي" "هاميلكار" أمراً بفتح المفاوضات السلمية مع القنصل الروماني في 241 ق.م، وتفويض "هاميلكار" في هذه المهمة هو القائد العسكري للقوات القرطاجية في صقلية يكون مجلس الشيوخ القرطاجي قد تنازل لأول مرة على فصل السلطة السياسية على السلطة العسكرية، وهذا دليل على أن الأرستقراطية القرطاجية كانت تريد التخلص من الحرب التي أنهكت خزائنهم بالنفقات المادية بأي طريقة.[17]

كلف "هاميلكار" بكل صلاحيات التفاوض مع القنصل الروماني "لوتاتيوس كاتلوس"، وقد قبل "هاميلكار" كل شروط القنصل الروماني، مع ذلك اعتبر مجلس الشيوخ الروماني هذا

الشروط غير قاسية،[18] ونظراً للعقد الموقع بموجبه يخلي القرطاجيون كامل جزيرة صقلية والجزر الواقعة بينها وبين إيطاليا -(جزر الأيولية Eoliennes)-، وتأدي حالاً 1.000 تالان و2.200 أخرى مدة 10 سنوات، وإقرار كل من الطرفين بعدم التعدي على حلفاء الطرف اللآخر.[19]

رغم أن الرومان هم أيضا قد تكبدوا خسائر كبيرة في هذه الحرب مثلهم مثل منافسيهم القرطاجيين، غير أن هؤلاء الأخريين لم يضاعفوا جهودهم البحري رغم تفوقهم فيها، فاذ حاولنا أن نحصي خسائر الطرفين نجد "بوليبيوس" يذكر أن خسائر الرومان لا تقل عن 700 وحدة بينما القرطاجيون اقل من ذلك أي 500 وحدة [20]، ولكن رغم ذلك الحكومة القرطاجية هي التي قررت التنازل والدفع بالحلول السلمية مع العلم أن قواتها الأساسية لم تصب بضرر، مما يدع للبحث عن أسباب أخرى لتخلي عن صقلية، والتي يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

- الضائقة المالية التي عانت منها قرطاجة بسبب ثقل الحرب، حيث كانت العاصمة البونقية قرطاجة بالإضافة إلى حدودها الافريقية وحدها تتحمل أعباء الحرب وتقوم بتمويلها، على العكس من منافسيهم فقد استفادوا من دعم حلفائها في صقلية (سرقوسة) وفي إيطاليا (إليا . لوكريس . ترنتوم)، فالنقص المادي جعل القرطاجيين يطلبون قرضاً من ملك مصر "البطلمي فيلد_يلف" من أجل مفقات الحرب، غير أنه رفض بسبب عدم تدخله في صراع بين الدولتين وفضل البقاء كصديق للمتحاربين، هذا العجز جعلهم عاجزين عن نقل الحرب إلى إيطاليا وإكتفوا بالدفاع في "صقلية".

- كما أن دخول قرطاجة الحرب كان لدفاع عن بعض مواقعها في جزيرة صقليه، عكس الرومان الذين دخلوا الحرب من أجل انتزاع الجزيرة من القرطاجيين، فهم كانوا يرونا فيها أهمية أكثر من الاليجارشية في قرطاجة التي رأت في التوسع في إفريقيا بديلا عن ذلك، في حين لم تدرك أن هذا التخلي سيتسبب في تفكيك محطاتها التجارية، حيث دعت هذه الأخيرة إلى قبول السلم مادام هناك بديل في إفريقيا فضيعها وأريفها الغنية ستعوض ما فقدوه.[21]

بعد ابراه معاهدة السلام 241 ق.م قرر القائد القرطاجي "هاميلكار" برقة الاستقالة عن منصبه كقائد عسكري للقوات القرطاجية، ليتولى القائد "جسكون" بعده المنصب، والذي

احيلت له عملية اخلاء جزيرة "صقلية" من الجنود، والذي تم إرسالهم الى إفريقيا في دفعات متفاوتة من أجل أخذ مستحقاتهم ومنها يتم تسريحهم الى بلدانهم.[22]

II ـ حرب الجند المأجور وعودة "هاميلكار":

كما تحدثنا سابقاً إن العجز المادي كان هو السبب الرئيسي في وقف الحرب في صقلية، فنفقات الحرب افرغت الخزينة مما جعلها غير قادرة على دفع أجور الجنود، فتم ارسالهم إلى مدينة "سيكاSiccal" –مدينة الكاف حاليا–، حيث تجمع في المعسكر حوال 20.000 جندي،[23] وهناك تحدث "حنون" ناطق الحكومة القرطاجية للجنود على ثقل الغرامة المالية التي فرضت على قرطاجة وطلب منهم التنازل على جزء من مستحقاتهم[24]، لكن طلب الحكومة القرطاجية لقي سخطاً كبيرا لدى أوساط الجنود، من "الايبريين" و"الغاليين" و"الليغوريين" ومن جزر "الباليار" وأنصاف الاغريق، وأغلب الجنود كانوا من الليبيين، ونظراً لتعدد الأجناس في معسكر المرتزقة كان من الصعب أن يفهم الجميع ما قاله "حنون"، وذلك راجع لاختلاف لغاتهم، مما اضطرهم إلى استعمالا المترجمين لكن لم يفهموا وقد تم تغليط الجنود ونقل لهم ما قاله "حنون" بالعكس مما زاد في تعقيد الأمور، بالإضافة إلى سخطهم على قرطاجة لتوكيل لهم رجل غير الذي قادهم في حرب "صقلية" من أجل التفاوض معهم،[25] فعمت الفوضى وزحفوا نحو العاصمة البونيقية قرطاجة وعسكروا في "تونس"،[26] على بعد حوالي 120 ملعباً من المدينة.[27]

رغم أنهم كانوا يشعرون بالود اتجاه القائد "جسكون" الذي حمل لهم المال وتوجه لتفاوض معهم، إلا أن هناك أطراف حالت دون ذلك التفاوض وهما: أحد الكمبانيين يدعى "سباندويوس Sapendios" وهو عبد عند أحد الرومانيين وفارٌ منه، والثاني هو الإفريقي "ماثوس Mathos"[28]، وقد تعقد الأمر بعد أن أُسر القائد العسكري "جسكون"، في ظل هذه الظروف استنجدت الحكومة القرطاجية بـ"هاميلكار"، فعاد كقائد للقوات العسكرية، وقد تمكن من فك الحصار على "أوتيكا" حقق بعض الانتصارات على المرتزقة، وقد تحالف مع أحد النوميدين يدعى "نارافاس"، الذي ذهب الى معسكر "هاميلكار" ومعه حوالي 100 جندي من نوميديين، وقد تمكن "هاميلكار" من كسب معركة حاسمة بمساعدة "نارافاس"، وبعد هذه المعركة قام بالعفو على الأسرى مقابل عدم رفعهم للسلاح في وجه قرطاجيين، مما أثار هذا الاسلوب التسامحي

الاغرائي لـ"هاميلكار" قائدي المرتزقة ماثوس" و"سبانديوس"، وردوا على ذلك بتعذيب القائد القارطاجي "جسكون" أشد العذاب وقاموا بقطع يديه.[29]

قررت الحكومة القرطاجية تكثيف الجهود القائد "هاميلكار" والقائد "حنون" معاً من أجل القضاء على هذا التمرد ووضع حد لهذه الحرب، فتمكن القائد "هاميلكار" من القضاء على "سبانديوس" وصلبه، ليعود "ماثوس" ويصلب القائد القرطاجي "جسكون" في نفس مكان صلب حليفه "سبانديوس، وبهذا بدأ يحضران لمعركة فاصلة بينهم، والتي استطاع القائد القرطاجي بخبرته وحنكته العسكرية أن ينتصر فيها،[30] وبهذا انتهت الحرب التي دامت ثلاث (3) سنوات و أربعة (4) أشهر (241 ـ 237 ق.م).[31]

استغل الرومان الوضع الصعب الذي كانت تمر به قرطاجة، أجبرتها على توقيع معاهدة سنة 238 ق.م والتي تتنازل بموجبها على جزيرتي "سردينيا" و"كرسيكا"[32] بعد أن تنازلت في المعاهدة الأولى على صقلية والجزر الواقعة بينها وبين إيطاليا، هذه الظروف دعمت موقف آل برقة أصاحب المشروع التوسعي في إسبانيا على موقف آل حنون المتخاذل والمتراجع، حيث خرج القرطاجيون من هذه الحرب الإفريقية على من النتائج:

أولاً: فقدان جزيرتي "سيردينيا" و"كورسيكا" بعد أن فرض الرومان إنسحاب قرطاجة من الجزيرتين بموجب معاهدة 238 ق.م،[33] بالإضافة الى تغريمهم بغرامة مالية إضافية،[34] بعد أن فقدت جزيرة "صقليه" والجزر الواقعة بينها وبين إيطاليا بموجب معاهدة 241 ق.م، وبهذا يكون الرومان قد جردوا القرطاجيين من أهم جزر الحوض الغربي للمتوسط، بعد ما كانوا اسياداً عليه، الأمر الذي آثار سخط ونقم القرطاجيين من ناحية مما زاد في نمو الحس الوطني من ناحية أخرى.[35]

ثانياً: كانت نهاية الحرب المرتزقة على وقع خلافات سياسية بين "آل برقة" و"آل حنون"، حيث شهد الحزب "الديموقراطي" بقيادة "هاميلكار" تفوقاً نسبياً على الحزب "الأرستقراطية" من عصبة "حنون"، حيث أثبت القائد البرقي "هاميلكار" أنه المنتصر الحقيقي في هذه الحرب، فهذا الانقلاب الداخلي في سياسة قرطاجة فتح الطريق أمام الديموقراطية وبالتحديد أمام "هاميلكار" الذي تولى منصب القيادة العسكرية في قرطاجة خلفا "لحنون" مستفيدا من دعم رجال السياسة

في مقدمتهم صهره الجديد "أصدروبعل" -الجميل-، ليصبح القائد الأعلى للقوات البونيقية في إفريقيا.[36]

ثالثا: إختلاف إيديولوجية السياسية بين حزبين: الأول "آل حنون" ممثلو الأرستقراطية التجارية يميلون إلى السلم مقتنعون بالوضع الراهن يكتفون بتوسيع أراضيهم في إفريقيا، والثاني "آل برقة" ممثلوا الشعب والذي كانوا يميلون إلى التوسع خارج إفريقيا، لتعويض ما فقدته قرطاجة، وقد قاد هذا المشروع القائد القرطاجي "هاميلكار"، على عكس ما ذهبت إليه المصادر الكلاسيكية إلى أن الدافع المحرك لـ"هاميلكار" هو عدم تقبله للهزيمة في الحرب البونيقية الأولى، مما حمله كرهاً ورغبة في الانتقام من روما وقد كان يتحين الفرصة من أجل ذلك، لدرجة أن لو لا ثورة جنود المرتزقة لدخل حرب أخرى ضد روما، فالمصادر ذهبت إلى أن حافز الانتقام هو الذي حمله للبحث عن مناطق أخرى لنفوذ قرطاجة، مما جعله يفكر في إسبانيا.

لكن إذا تتبعنا مسار مشروع "هاميلكار" نجده أرفع من فكرة الانتقام من روما، حيث كان يحمل بداية جديدة لقرطاجة،[37] ويهدف إلى معالجة مشاكل قرطاجة الجذرية، بداية من البحث عن الأسباب التي كانت سبب في عجزها في الحرب البونيقية الاولى، والتي كان أهمها:

أولاً: هشاشة الاقتصاد القرطاجي الذي لم يتحمل تكاليف الحرب الطويلة.

ثانياً: النظام الأوليجارشي" الذي يخضع القادة إلى أرستقراطية انانية لا يهمها غير مصلحتها.

ثالثاً: اعتماد قرطاجة على الجند المأجور ـ المرتزقة ـ في حروبها والذي يعتبر أكبر النقائص.

إن مخطط "هاميلكار" الذي مشي عليه لم يكن إرتجاليا بل كان مشروع يهدف إلى معالجة مشاكل قرطاجة جذريا، انطلاقاً من البحث عن الأسباب التي حالت دون الانتصار في صقلية، وبالتالي إعادة التوازن في الحوض الغربي للمتوسط، لحل كل تلك المشاكل فكر "هاميلكار" في التوسع خارج المجال الافريقي، وبالتحديد إلى اقصى الغرب -إسبانيا"-.

III ـ لماذا "إسبانيا"؟:

كان اختيار إسبانيا لمجموعة من الاعتبارات:

أولاً: الاعتبار الأول هو إقتصادي، فإسبانيا تتوفر على مزايا إقتصادية كبيرة، من ثروات معدنية – مناجم الفضة في "سيرا مورينا"ـ التي كانت سبباً في ثرائهم،[38] وسواحلها مفتوحة على المحيط الأطلسي كقاعدة ممتازة لعمليات البحث البعيدة عن المعادن الثمينة،[39] بالإضافة الى الثروات النباتية والحيوانية، فهي ارض غنية جداً بإجماع المصادر التاريخية على ذلك،[40] فكل هذه الموارد كانت كفيلة في بعث الاقتصاد قرطاجي من جديد،[41] زيادة على ذلك تعويض الغرامة المالية التي فرضت على قرطاجة في معاهدة الصلح التي ابرمت بعد الحرب البونيقية الاولى 241 ق.م، وغرامة المعاهدة الثاني سنة 238 ق.م.[42]

ثانياً: كما أن إسبانيا بعيدة عن أعين معارضيهم وساسة الأوليجارشية في قرطاجة، ولكن رغم ذلك أيد "آل حنون" سياسة "آل برقة" في إسبانيا، والغرض من ذلك هو الاستفادة من الثروات الطبيعية التي تتوفر عليها اسبانيا، بالإضافة إلى ابعاد أكبر المنافسين "آل برقة" لهم عن قرطاجة.

ثالثا: كذلك تعبئة القوة البشرية البرية من إسبانيا في الجيش دائماً لقرطاجة، يمكنه أن يكون نداً لروما في المستقبل، فقد كانت هزيمة قرطاجة في الحرب البونيقية الأولى بسبب إصابة الاسطول القرطاجي البحري.

رابعاً: معرفة ودراية كبيرة للقرطاجيين بإسبانيا، فالفينيقيين ترددوا عليها في أواخر القرن 12ق.م والنصوص التاريخية والأثرية تشير إلى أنهم تعاملوا مع المدن الترشيشية[43] خلال القرن 9 ق.م أي قبل تأسيس قرطاجة، كما تم إقامة العديد من المحطات والمستوطنات التجارية كـ"قادس" التي كانت تقدم الدعم للفينيقيين، وقد فرضا "الماغونيون" سيطرتهم على طول الساحل الشرقي لإسبانيا خلال القرن 4 ق.م، ولكن لم يتمكن من السيطرة الدائمة عليها، بالإضافة الى أن الوضع السياسي في إسبانيا كان من العوامل المساعدة، حيث أن التطور في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في إسبانيا لم يواكبه تطوراً سياسياً.[44]

كانت سياسة آل برقة ترمي إلى إعادة بناء قوة قرطاجية التي فقدت السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط حيث كان مشروع التوسع في إسبانيا معداً بكل تفاصيله من "آل برقة"،[45] ومن جهة إنشاء قاعدة برية واسعة وقوية من أجل إعادة التوازن في البحر الأبيض المتوسط وليس

لصمود في وجه ضربات الرومان، ومن اجل احتكار التجارة في ما وراء "أعمدة هراقل" و"المحيط الأطلسي".[46]

استفاد "هاميلكار" من دعم "أصدروبعل" – الذي لقب بالجميل – من الأرستقراطية، ولتوطيد العلاقات نجد أن "هاميكار" قام بتزويج ابنته من "أصدروبعل"، بالإضافة إلى "هاميكار" و"أصدروبعل" و"حنبعل" وأخويه "أصدروبعل" – الصغير – وماغون – برقة – خرج الخمسة سنة 237 ق.م في طريقهم إلى إسبانيا عن طريق البر بسبب فقد قرطاجة لأسطولها البحري،[47] ويذكر "أبيانوس" أن "هاميلكار" عبر المضيق دون إذن من حكومة القرطاجية.[48]

IV نشاط "هاميلكار" في اسبانيا:238 – 219ق.م

كان بداية نشاط "هاميلكار" في إسبانيا من "قادس" فبدأ بإخضاع القبائل المجاورة، ومع مطلع سنة 236 ق.م شرع في تنظيم استغلال المناجم، كما قام بسك عملة جديدة من الفضة، رغم أنه بهذا ضمن إستقلاله عن قرطاجة إلا أنه كان يرسل سفن محملة بالمعادن لقرطاجة، وذلك لدفع الغرامة المالية المفروضة عليها، وقد شهدت السنوات الأولى عدم دعم الحكومة القرطاجية لمشروع آل برقة في إسبانيا، وقد استغرق "هاميلكار" مرحلة ما بين 235 – 231 ق.م وهو يخضع القبائل الساحلية إلى أن وجه أنظاره إلى الداخل، فقد كان عليه أن ينفذ إلى الداخل من أجل احكام السيطرة وعدم الاكتفاء بالساحل، وقد اثارت توسعاته مخاوف "مارسيليا" التي نبهت روما وهي بدورها أرسلت بعثة 231 ق.م لتفقد الأمر، فقام "هاميلكار" بإستقبالها أحسن استقبال واقنعهم أن العمليات ما هي إلا عمليات للقبائل الاسبانية التي تعيق التجارة البونيقية في إسبانيا، وبالتالي تحول دون دفع الغرامة الحربية المفروضة عليهم لصالح روما، وفي شتاء 229 ق.م ترك "هاميلكار" مدينته "أكرا-ليفكا" واستئناف عملية التوسع نحو الداخل، أخذ فيلته وجيوشه وذهب إلى إخضاع مدينة "هيليس"، ولكنه بعض القبائل وهي "الأورتانيين" أظهرت له حلفها ولكنها سرعان ما هاجمته، فتعرض معسكره إلى هزيمة كبيرة، فحاول اللحاق بقواته لكنه سقط في نهر وتوفي فيه.[49]

لم يكن من سهل تعيين خليفة لـ"هاميلكار" في إسبانيا، فقد خلف وضع صعب وخاصةً أن الجنود قد كسبوا حق اختيار القائد العسكري بعد حرب الجند المأجور، فقد كانت الانتصارت

التي حققها "هاميلكار" خلال 8 سنوات ليست نابعة من عبقريته وخبرته العسكرية فحسب بل من قدرة خارقة تتميز بها الأسرة، لذلك لم يكن الجنود ليقبلوا بخليفة لا ينتمي للعائلة، ولكن أبناء "هاميلكار" صغار على تولي مسؤوليات سياسية وعسكرية كبيرة، فعادت القيادة لصهره "أصدروبعل" ـالجميلـ الذي رافق "هاميلكار" خلال السنوات الأخيرة وقدم له الدعم منذ أن كانا في قرطاجة.[50]

V نشاط "أصدروبعل" في إسبانيا:

استطاع "أصدروبعل" في فترة وجيزة أن يوسع نفوذ العائلة "آل برقة" في إسبانيا، فقد بسط نفوذها على مناطق شاسعة في جنوب إسبانيا،[51] من خلال أساليبه السلمية مع قبائل الإيبيرية،[52] فقد جمعته علاقات ودية مع أمراء إسبان،[53] فبعد وفاة ابنة "هاميلكار" تزوج "أصدروبعل" من ابنة أحد رؤساء القبائل الإسبانية، مما كان له أثر في تقبل الإيبيريين لسيادة بونيقية عليهم، حيث دع "أصدروبعل" الى اتحاد واسع يضم قبائل شبه الجزيرة الإيبيرية، فبالإضافة إلى الشرعية التي أعطتها له قرطاجة، يكون بذلك تحول من قائد عسكري أجنبي إلى قائد عسكري وطني، ومن الأعمال التي قام بها "أصدروبعل" كان تأسيس مدينة "قرطاجنة" (قرطاجة الجديدة) "*Carthage Nova*" العاصمة البونيقية في إسبانيا سنة 227 ق.م.[54]

تقع "قرطاجنة" جنوب شرق إسبانيا بالقرب من المناجم الغنية جداً بالفضة، والمدينة عبارة عن شبه جزيرة وتحيط بها التلال من كل الجهات باستثناء الجنوب الموجه للبحر، والمرتفعات تشكل تحصيناً طبيعيا للمدينة،[55] وقد أسس فيها مجموعة من المراكز الصناعية، كمصنع للسفن ودار لسك العملة، وقد كانت مدينة محصنة تحصيناً جيداً وذلك لغناها،[56] تشبه الى حد كبير تحصينات الوطن الأم صور بحجارة مربعة، وعلى أحد الهضبات العالية بنى "أصدروبعل" قلعة المدينة،[57] مما جعل منافسيه في قرطاجة يتهمونه بأنه أراد أن يكون ملكاً[58]، خصوصاً أن التسمية شبيه بحد كبير قرطاجة (قرط-حشت) المدينة الجديدة، وتشير الفكرة إلى رغبة "أصدروبعل" في الانفصال عن وطن الأم، فيما يرى البعض أن "قرط" تعني العاصمة وبالتالي هي عاصمة جديدة، والتي سماها الرومان "قرطاجة الجديدة" Carthage Nova".

في سنة 226 ق.م أخذ رومان يبدونا قلقهم من تطور الموقف في إسبانيا[59]، وكانت لهم علاقة قوية بمدينة "مساليا"، والتي كانت مستعمرة إغريقية قديمة في جنوب "غالة"، وقد زاد تخوف روما من تحالف يكون بين "الغاليين" والبونيقيين ضدها، ولما امتد النفوذ القرطاجي لـ"مساليا" أرسلت الى روما محتجة على عمل "أصدروبعل" [60] فقامت روما بتوجيه انظارها نحو إسبانيا فأرسلت وفد لاستطلاع الوضع، ووقعت مع "أصدروبعل" اتفاقية تنص على {منع قوات البونيقية اجتياز نهر "الإيبرو" إلى الشمال، وتحظر أي عمل عسكري للبونيقيين شمال هذا النهر}،[61] وهكذا كان هذا الاتفاق بمثابة اعتراف من رومان على بسط قرطاجة نفوذها على كامل جنوب إسبانيا بموجب معاهدة "الإيبرو" سنة 226 ق.م.[62]

على أغلب الظن أن أهل "مرسيلية وأمبوريس" كانوا ينظرون بأسى إلى نجاحات آل برقة في إسبانيا، لذلك هم من سعوا إلى مناشدة الرومان، وقد سارعوا هم ايضاً بدورهم إلى تلبية عدوتهم ومن مصلحتها أن يكون لها موقع تنظم فيه جيوشها في إسبانيا في حالة نشوب حرب محتملة.[63]

يعتبر "بوليبيوس" معاهدة "الإيبرو" كإحتياط لروما لتتمكن من محاربة الغاليين دون التعرض لخطر محاصرة القرطاجيين من الخلف، لكن يجدر هنا طرح سؤال: حول سبب جعل رومان يتفاوضون مع "أصدروبعل" بدل التفاوض مع الحكومة القرطاجية، ان لم يكن لها نية الاختلال بالمعاهدة إذا أمكنها ذلك؟[64]، وبذلك تكون قرطاجة قد سجلت أول إنتصار على روما بالإضافة إلى اعتراف بوجودها في اسبانيا، ولكن كان الاعتراف بإمبراطورية آل برقة في إسبانيا ما هو إلا لوضع حد لتوسعهم فيها وضمان أمن روما.

كان لـ"أصدروبعل" سياسة دبلوماسية ممتازة في شبه الجزيرة الإيبيرية، لكن هناك كثير من القبائل الإيبيرية كانت ترفض تدخل آل برقة في إسبانيا، فدخل أحد "الكلتيين" إلى العاصمة قرطاجنة وقام بطعن "أصدروبعل" فقتله سنة 221 ق.م[65]، وبمقتل "أصدروبعل" انتخب الجيش "حنبعل" قائداً للقوات العسكرية في شبه الجزيرة الإيبيرية.

VI- نشاط حنبعل في إسبانيا:

أنتخب "حنبعل" كثالث قائد للجيوش القرطاجية في إسبانيا بالإجماع،[66] والذي أبدى عن قدرات وخبرة عسكرية بالإضافة الى مؤهلاته الحربية،[67] وهو شاب في الخامسة والعشرين (25) من عمر،[68] دون انتظار قرار الحكومة القرطاجية، فقد رفض حزب "آل حنون" قرار الجنود وبشدة، مبررون ذلك في أنه: {لا يمكن تسليم الشؤون الحربية القرطاجية في إسبانيا لشاب صغير، فقرطاجة تحتاج الى شخص يطيع القوانين ويحترم القضاء، فنحن نخشى من شرارة وشجاعة حنبعل}،[69] رغم أن هذا الطرح المنطقي ولكن الغلبة كانت للحزب الاكثر عدداً، لذلك وافق مجلس الشيوخ القرطاجي على قرار الجنود في تعين "حنبعل" قائد أعلى للقوات البونيقية في إسبانيا.[70]

لم يكن "حنبعل" أكبر أبناء "هاميلكار" ولكن حينما أرسله صهره وزوج أخته "أصدروبعل" بقيادة الخيالة أظهر على موهبة عسكرية، كشفت الأيام عن قدرته النادرة على القيادة والتنظيم، إن قدرات "حنبعل" هي التي أهلته إلى أن يكون القائد الأعلى للقوات العسكرية القرطاجية في إسبانيا، فقد جمع "حنبعل" الفضائل كقائد خدم تحت إمرة "أصدروبعل" مدة ثلاث (3) سنوات، دون إغفال ما يجب القيام به ليصبح قائداً عظيماً،[71] بالإضافة إلى ذكرى والده "هاميلكار" التي رافقت الجنود وشجاعته، حيث كان يقوم بحملات توسعية تدر غنائم كبيرة عليهم، فالبحث على الانجازات والانتصارات كان أحد مطالب الجنود الذين اختاروه لقيادتهم.[72]

قام "حنبعل" بعمليات الاخضاع الواسعة في إسبانيا[73]، فقد سار في الأول الى Olcades ثم قام بإخضاع Carpetan لم يبقى من يقف في وجهه جنوب نهر "الايبرو" إلا مدينة "ساغنتوم"[74]، إلا أنه لم يتقدم "حنبعل" صوبها، وبالتالي فرض سلطانه على إسبانيا،[75] غير أن الحرب لم تبدأ على "ساغنتوم" ولكن الحرب على جيرانها أثارت مخاوفهم، فأرسلت "ساغنتوم" وفداً الى روما لمساعدتها للخطر الذي يهددها،[76] لم يتقبل الرومان طلبهم ولكن لم يمكنهم تجاهل إنجازات التي حققها القرطاجيون في إسبانيا، ولكن بعد ارسال "الساغونتين" عدد من الوفود، قرر مجلس الشيوخ دراسة الوضع وقرروا أرسال وفد الى "حنبعل" في مقر إقامة جيوشه في

"قرطاجنة" وطلبوا منه عدم تعدي على "ساغنتوم" لأنها تحت الحماية الرومانية، وعدم اجتياز نهر "الإيبرو" وفقاً للاتفاق المبرم مع "أصدروبعل".[77]

كانت مدينة "ساغنتوم" تقع جنوب نهر "الإيبرو" وكانت تتمتع برخاء اقتصادي وحضاري وتعد من أرقى المدن الإيبيرية، والساغنتيين رفضوا المجلس التي دعا إليه "أصدروبعل" 229 ق.م للهيمنة البونيقية على إسبانيا، وتقربوا إلى روما وأصبحوا حلفاء لها، وبهذه الطريقة وجدت روما تتدخل في إسبانيا، وإن كانت حليفة لروما على حسب ما تشير اليه المصادر ولكن لا ندري متى كان هذا الحلف قبل اما بعد معاهدة "الايبرو"،[78] ولكن الغالب أن رومان بعد أن أنهت حروبها في قهر الغاليون في واد "البوPo" أرادت التدخل في إسبانيا، فسارعت لقبول عرض "الساغنتيين"، وخصوصا أن إمبراطورية آل برقة في إسبانيا من مضيق جبل طارق إلى نهر "الإيبرو" كانت تقلقهم وتشكل خطراً عليهم.[79]

إلا أن المصادر التاريخية تشير الى أن "حنبعل" كان يفكر في مهاجمة روما من اليوم الأول الذي تولى فيه القيادة في إسبانيا،[80] هذا ما جعله يختلق فكرة أن روما تثير القلاقل له في إسبانيا فهي تحرض الإسبان للثورة ضده،[81] فأخذ دور المسؤول على "ساغنتوم" واتهم رومان بأنهم من حرضوا "الساغنتيين" فعلا،[82] وقد سبق لروما إرسال فرقتين لمساعدة هم أثناء خلافهم مع الموالين لقرطاجة سنتي 223 و 222 ق.م، وتمكنوا بفضل هذه المساعدة من التنكيل بأنصار "حنبعل"، وهو ما دفعهم للتمادي في موقفهم، ودفع أنصار "حنبعل" الى الاستنجاد به في الوقت الذي استعان فيه الأوائل بروما، وهذا حتى تجد روما مبرراً للتدخل في إسبانيا، لإعاقة مشاريع "آل برقة" ويكون "حنبعل" بدوره قد استغل فرصة انشغال روما بحروبها في "ايليريا" من ناحية وتيقنه من ناحية اخرى أن روما ستتدخل في إسبانيا بمجرد انتهاء الحرب،[83] لذلك أعلن انه لن يتخلى عن حق مواطنيه وأعتبر ذلك إهانة، حيث أنه مكلف من طرف الحكومة القرطاجية في إسبانيا بحماية مصالحها باعتباره قائد الأعلى للقوات هناك، في نفس الوقت أرسل الى قرطاجية يخبرها ما يمكنه أن يفعله، أتجاه "ساغنتوم" المدعومة من طرف الرومان،[84] التي طلبت منه اتخاذ التدابير التي يرها، باعتباره القائد الأعلى في إسبانيا.[85]

فزحف "حنبعل" إلى مدينة "ساغنتوم" بجيش يقدر بحوالي 150.000 رجل في ربيع 219 ق.م، وضرب حصار على المدينة،[86] فأرسل مجلس الشيوخ الروماني وفداً لـ"حنبعل" ليذكره أن "ساغنتوم" حليفة لروما، مطالبين منه فك الحصار على "ساغنتوم"،[87] ولكنة رفض مقابلتهم بسبب الظروف الحرجة التي يمر بها، فسافر الوفد الى إفريقيا،[88] فاستقبلهم النواب في قرطاجة وتم سماعهم، فقد طلبوا بتسليم "حنبعل" لأنه انتهك معاهدة السلام الموقعة بين الطرفين،[89] وباعتباره المسؤول الأول على حادثة "ساغنتوم"،[90] وايضا ليثبت مجلس الشيوخ القرطاجي براءته من تصرف "حنبعل"، غير أن "حنون" لوحده على الرغم من معارضة وجلس الشيوخ القرطاجي كان رفضاً ذلك التدخل، فقد رفض رئيس مجلس الشيوخ القرطاجي أي معارضين لابن "هاميلكار"، لكن "حنون ألقا خطابا مطولاً قال: {أن الاتفاق مع روما يجلب السلام ولكن اتباع شاب طامح يجلب الحرب الى قرطاجة، فقد انتهك المعاهدة واشعل النار في "ساغنتوم" وقريبا سنرى النار في قرطاجة تحت ايد الرومان، فقرطاجة ليست مذنبة بل رجل واحد هو مذنب، فقد تذكر المعاناة المادية التي عانتها قرطاجة خلال الحرب البونيقية الأولى وطلب بتسليم "حنبعل" للرومان}، ولكن حزب المعارضة ثار بشدة، فتعالت الأصوات في مجلس بين الاطراف المتعارضة، ولكن قرار مجلس الشيوخ كان تقديم الدعم لـ"حنبعل" ضد الرومان، ذلك أن مدينة "ساغنتوم" لم تكن مدرجة في الاتفاق المبروم بين الطرفين سنة 241 ق.م،[91] رغم أن سلوك "حنبعل" استاؤوا له، ولكنهم لم يمكن لهم ان يجاملوا روما، وان ينزلوا لطلبها، رغم ان المفاوضات كانت مزالها قائمة في قرطاجة إلا أن "حنبعل" كان مواصل في محاولة تحطيم أسوار المدينة "ساغنتوم"، وبالتالي اندلاع الحرب البونيقية الثانية.[92]

الخاتمة:

كانت سياسة آل برقة في الحوض الغربي للمتوسط بعد الحرب البونيقية الأولى ترمي إلى اعادت بعث اقتصاد قرطاجة من جديد ومعالجة مشاكلها الجذرية، وخاصة بعد أن جردتها منافستها روما من أهم جزر الحوض الغربي للمتوسط، لذلك فكر آل برقة في التوسع بإسبانيا، من خلال مشروع قاده "هاميلكار" برقة وواصله بعده صهره "أصدوربعل" وابنه "حنبعل"، ولكن اعتبرت المصادر التاريخية أن هذا التوجه كان من دافع الانتقام من روما، محملة كل من

"هاميلكار" وابنه "حنبعل" مسؤوليه الحرب البونيقية الثانية، والتي انطلقت من إسبانيا مرورا بإيطاليا لتنتهي بإفريقيا في معركة فاصل والتي وهي معركة زاما 202ق.م.

الهوامش :

[1] *Polybe,* ***Histoire Romaine,*** *Tr* : *Félix BOUCHOT, Ed* : *CHARPENTIER, LIBRAIRE-ÉDITEUR, Paris,* 1847, *liver* : *III,*1,8

[2] محمد الهادي حارش، "قراءة تحليلية لأسباب الحروب البونيقية (من منظور المصادر القديمة)"، مجلة دراسات تراثية، العدد 05، الجزائر، 2014، ص 16.

[3] *Tite-Live,* ***Histoire Romaine****, Tr* : *Annette Flobert, Ed* : *Flammarion, Paris,* 1999, *Livre* :*XXI, Chapitre I,*1.

[4] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 17.

[5] جوليان شارل أندري، **تاريخ افريقيا الشمالية**، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط 5، 1985، تونس ، ص 97 – 98.

[6] *Polybe, I ,*55.

[7] *Ibid I,* 56.

[8] صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 88.

[9] *Polybe, I,* 56.

[10] *B.Combet Farnoux ,* ***les guerres puniques****, Ed* : *Presses Universitaires de France,* 1960, *Paris, p* 45.

[11] صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 88.

[12] *Polybe, I,* 58.

[13] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 97 – 98.

[14] *Polybe, I,* 60.

[15] شارل أندري جوليان، الرجع السابق، ص98.

[16] صطيفان أكصيل ، المرجع السابق، ص 91.

[17] *Polybe, I,* 58.

[18] صطيفان أكصيل ، المرجع السابق، ص 88-89.

[19] *Polybe, III,* 27.

[20] *Polybe,* 63 *II*.

[21] صطيفان أكصيل ، المرجع السابق، ص 88 - 89.

[22] *Polybe, I,* 67.

[23] *Polybe, I* ,67.

[24] صطيفان أكصيل ، المرجع السابق، ص 91.

[25] *Polybe, I,* 68.

[26] صطيفان أكصيل ، المرجع السابق، ص 96.

[27] *Polybe, I,* 68.

[28] صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 96.

[29] *Polybe, I,* 78.79.

[30] *Polybe, I,* 86.

[31] فرانسوا ديكريه، **قرطاجة أو امبراطورية البحر**، تر: عز الدين احمد عزو، دار الأهلي، ط1، سورية، 1996، ص 172.

[32] *Appien,* ***Histoire Romaine*** *, Tr* : *Goukowsky, Ed* : *les belles lettres, paris,* 2002, *livre* : *Ibérique, chapitre, III,*1,4.

[33] *Polybe, III,*13.

[34] *Tite-Live, XXI,* ١ , 5.

[35] *Polybe, III,*13.

[36] فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص 152.

[37] فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص 154.

[38] *Appien, Ibérique , I,*3.

[39] فرونسوا دوكري، المرجع السابق، ص 125.

[40] *Appien, Ibérique* ,1,3.

[41] *Diodore de sicile,* ***Bibliothèque Historique de Diodore de sicile****, Tr* : *l'abbé TERRASSON, ADOLPHE DELAHAYS, ,PARIS,* 1851, *V,* 25.

[42] فرونسوا دكري، المرجع السابق، ص 180.

[43] وتعني كلمة "ترشيش" والسفن التي كانت تحمل بالواردات "السفن الترشيشية" بالفينيقية المنجم لكثرة المناجم في إسبانيا.

[44] *Strabon,* ***Géographié****, TR* : *AMÉDÉE TARDIEU, Ed* : *LIBRAIRIE HACHETTE ET, PARIS,* 1909, *LIVRE* : *III,* 23.

[45] محمد الهادي حارش، "قراءة تحليلية لأسباب الحروب البونيقية (من منظور المصادر القديمة)"، المرجع السابق، ص 16 – 17.

[46] فرونسوا دكري، المرجع السابق، ص 180.

[47] *Polybe, III,* 1 ,11.

[48] *Appien, Hannibalique, I,* 2.

[49] صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 117.

[50] *Appien, Ibérique* ,2,6.

[51] *Appien, Ibérique,* 1,3.

[52] *Appien, Ibérique, II,*6.

[53] *Tite –Live, XXI,* 1, 2, 4.

[54] صطيفان أكصيل ، المرجع السابق، ص116.

[55] *Strabon, III,*5,3.

[56] *Polybe, X,*8,2.

[57] تسيركين يولي بركوفيتش، المرجع السابق، ص 76.

[58] صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 118.

[59] *Fathi ABDELKDRE,* ***Dans la tempête de l'Histoire*** *– Hannibal ou Jugurtha-, Ed*: *Hihri* ,2008, *Alger, p* 20 – 21.

[60] صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 119.

[61] *Tite – Live, XXI,* 1, 2, 7.

[62] محمد الهادي حارش، **التاريخ المغاربي القديم**، المرجع السابق، ص 266.

[63] صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 119.

[64] محمد الهادي حارش، "قراءة تحليلية لأسباب الحروب البونيقية (من منظور المصادر القديمة)"، المرجع السابق، ص 21.

[65] صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 118.

[66] *Tite – Live, XXI,* 1, 3, 2. *Appien, Hannibalique, I,* 3.

[67] *Tite-Live, XXI,* 3 ,2,3,4 .4, 3.

[68] *Polybe, III,*13.

[69] *Tite – Live, XXI,* 1, 3.

[22] *Tite – Live, XXI,* 1, 4, 1.

[71] *Tite – Live, XXI,* 1 , 4, 8.

[72] *Appien,* ***Ibérique****, chapitreII,*8.

[73] وقد تزوج من امرأة من الأهالي كانت من "كاستولو Castulo"

[74] *Yann le bohec ,* ***Histoire militaire de guerres puniques 264 – 146 av.J-c*** *, ed* : *TEXTO , Paris,* 2014, *p* 129-132.

[75] *Polybe, III,*14.

[76] *Appien,* ***Ibérique****, II,* 7.

[77] *Polybe, III,* 15، *Tite, XXI,* 1, 6, 3

[78] محمد الهادي حارش، "قراءة تحليلية لأسباب الحروب البونيقية (من منظور المصادر القديمة)"، المرجع السابق، ص 21–20.

[79] صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 119.

[80] *Tite – Live, XXI,* 1, 5, 1.

[81] محمد الهادي حارش، "قراءة تحليلية لأسباب الحروب البونيقية (من منظور المصادر القديمة)"، المرجع السابق ، ص 16-22.

[82] *Polybe, III,*15.

[83] محمد الهادي حارش، "قراءة تحليلية لأسباب الحروب البونيقية (من منظور المصادر القديمة)"، المرجع السابق، ص 16-22.

[84] *Polybe, III,*15.

[85] *Appien, Hannibalique, I,* 3.

[86] *Tite-Live, XXI, V* ,2.

[87] *Tite – Live, XXI,* 1, 6, 8.

[88] *Tite – Live, XXI,* 2, 9.

[89] *Tite – Live, XXI,* 1, 6, 8.

[90] *Polybe, III,* 15.

[91] *Tite – Live, XXI,* 2, 10.

[92] *Tite – Live, XXI,* 2, 11.